يا سَلْمانُ رَأيتَ ذَلكَ؟

لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق ـ وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة ـ عرضتْ لهم صخرةٌ حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول، ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فندر[1] ثلث الحجر، وسلمان الفارسيّ قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية وأعاد تلاوته الآية، فندر الثلث الآخر، فبرقت برقة فرآها سلمان، ثم ضرب الثالثة وأعاد تلاوة الآية.

فنَدَر الثلث الباقي وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس.

قال سلمان: يا رسول الله، رأيتك حين ضربتَ ما تضربُ ضربةً إلاّ كانت معها برقة؟.

فقال الرسول ﷺ: «يا سلمان، رأيتَ ذلك؟».

قال: إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله.

فقال صلوات الله عليه: «فإني حين ضربتُ الضربة الأولىٰ رُفعتْ لي مدائن كسرىٰ وما حولها، ومدائنٌ كثيرة، حتىٰ رأيتها بعينيّ».

قال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله، ادعُ الله أن يفتحها علينا ويغنّمنا ديارهم.

ويُخرّب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ بذلك، ثم قال:

---

(١) ندر الشيء: سقط ووقع.

«ثم ضربتُ الضربة الثانية فرُفعَتْ لي مدائن قيصر وما حولها حتىٰ رأيتها بعينيّ».

قالوا: يا رسول الله، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنّمنا ديارهم، ويُخرّب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ بذلك.

ثم قال: «ثم ضربتُ الثالثة فرُفعتْ لي مدائن الحبشة وما حولها من القرىٰ حتىٰ رأيتُها بعينيّ».

ثم قال عليه الصلاة و السلام: «دَعُوا الحبشة ما وَدَعوكم[1]، واتركوا التُرك ما تركوكم»[2].

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لقد أُعطيت الدنيا وما فيها، وكنت إنساناً متواضعاً، بحيث لم يستطع الكبْر أن يتسلّل إلىٰ قلبك لحظة واحدة، فسلام الله عليك في كل وقت وحين.

يومٌ يتيه علىٰ الزمان صباحه ... ومساؤه (بمحمدٍ) وضّاءُ
الحق عالي الركن فيه مظفّر ... في الملك لا يعلو عليه لواءُ
ذُعرت عروشُ الظالمين فزلزلت ... وعلتْ علىٰ تيجانهم أصداءُ
والنار خاوية الجوانب حولهم ... خمدت ذوائبها، وغاض الماءُ
والآي تَتْرىٰ، والخوارق جمّةٌ ... (جبريل) روّاحٌ بها غدّاءُ

* * *

(١) أي: ما تركوكم.
(٢) سنن النسائي: ٦/ ٤٣.